العلاقات التركية- الروسية بعد إذابة الجليد بين أردوغان وبوتين

بواسطة سونر چاغاپتاي (/ar/experts/swnr-chaghaptay-0)

أغسطس
متوفر أيضًا باللغات:
English (**/policy-analysis/turkish-russian-ties-after-erdogan-putin-breakthrough**)

عن المؤلفين

سونر چاغاپتاي (/ar/experts/swnr-chaghaptay-0)

سونر چاغاپتاي هو زميل أقدم ومدير برنامج الأبحاث التركية في معهد واشنطن.

تحليل موجز

خلال لقائهما في موسكو في 9 آب/أغسطس قرّر الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ونظيره الروسي فلاديمير بوتين اتخاذ خطوات لتطبيع العلاقات بين البلدين. ويأتي هذا التحوّل المذهل بعد عدة أشهر من توتر علاقتهما بسبب إسقاط تركيا طائرة روسية خرقت المجال الجوي التركي. وفي أعقاب تلك الحادثة فرضت روسيا عقوبات اقتصادية على تركيا كما مارست عليها ضغوط في المجالات الإلكترونية والعسكرية والاستخباراتية. وتصاعد الصراع بينهما في سوريا حيث يعارض الطرفان بعضهما البعض في الحرب بالوكالة فروسيا تزوّد الأسلحة لـ «حزب الاتحاد الديمقراطي» - «الجماعة» الكردية المرتبطة بـ «حزب العمال الكردستاني» في تركيا الّذي تخوض معه تركيا قتالاً في الوقت الحالي. وفي المقابل زادت تركيا دعمها للمتمردين المعارضين للأسد الذين يقاتلون النظام في المناطق المحيطة بحلب.

إن التطورات الأخيرة ومن بينها إدراك أنقرة المتزايد بأن حلفاءها الغربيين قد تخلوا عنها بعد الانقلاب الفاشل في 15 تموز/يوليو فضلاً عن المحادثات المستمرة بين موسكو وواشنطن الهادفة إلى تنسيق الجهود في الحرب الأهلية في سوريا قد استبعدت المبرر المنطقي للعداء بين تركيا وروسيا. وبالفعل سيزداد تحسن العلاقات التركية -الروسية في هذه المرحلة إلا إذا تدخلت واشنطن لمنع أردوغان من التودد إلى بوتين.

جذور ضعف أردوغان

سيؤدي الانقلاب الفاشل إلى تعقيد العلاقات التركية - الأمريكية. فالكثيرون في أنقرة يشاركون الرأي القائل بأن واشنطن تقف وراء محاولة الانقلاب لأن الداعية التركي فتح الله غولن يعيش في الولايات المتحدة. ويوافق العديد من الخبراء أن ضباطاً منحازين لغولن شكلوا الدعم الأساسي لمحاولة الانقلاب على الرغم من أن تركيا لم تقدّم بعد دليلاً لواشنطن يظهر أن غولن نفسه أمر بالقيام بعملية الإطاحة. وفي غضون ذلك بث كُتاب أعمدة بارزين في صحف تدعم «حزب العدالة والتنمية» الحاكم مزاعم عن الدور الأمريكي في المؤامرة. بالإضافة إلى ذلك اتهم علناً عضو واحد على الأقل في مجلس الوزراء هو وزير العمل سليمان سويلو الولايات المتحدة بمسؤولية الانقلاب.

إن مؤامرة الانقلاب هي على الأرجح الحدث السياسي الأكثر صدمةً في تركيا منذ سقوط الامبراطورية العثمانية. فقد تمّ استهداف أردوغان شخصياً ولكنّه نجى لأنّه هرب من الفندق الذي كان ينزل فيه قبل خمس عشرة دقيقة من وصول فرقة الاغتيال. وهزتّ التفجيرات في أنقرة - من بينها تلك التي استهدفت البرلمان - سكان المدينة وبالأحرى البلاد بأكملها. فلم تشهد العاصمة التركية هجوماً عسكرياً منذ أكثر من ستمائة عام عندما احتلتها جيوش تيمورلينك في عام 1402.

وقد تزعزع استقرار اسطنبول بشدة أيضاً عندما قام مخططو الانقلاب بتحليق طائرات "إف 16" فوق المدينة على ارتفاعات منخفضة وبسرعة فائقة باختراقها حاجز الصوت بقوة ووفّرت الوهم بأنّ المدينة التي يعيش فيها 15 مليون شخص تتعرض للقصف.

وبالإضافة إلى ذلك شملت هذه المؤامرة الحزبية توجيه ضربة أساسية أخرى وهي استخفافها بمفاهيم راسخة منذ زمن بعيد عن الجيش التركي الذي يخضع للتسلسل الهرمي للسلطة وتاريخه الملئ بالانقلابات البيضاء. ففي السابق كانت هناك عقيدة إيمانية أنّ الجيش لا يطلق النار على شعبه إلا أن المخططين قاموا هذه المرة باطلاق النار على الناس مما أسفر عن مقتل أكثر من مائتي مواطن فضلاً عن العديد من الانقلابيين الذين قُتلوا معهم. وبالتالي فإن المزاج في البلاد غاضب وقلق وفي حالة مزرية.

وبصورة منفصلة يفسّر الإدراك المتزايد لدور الولايات المتحدة في المؤامرة سبب شكوك بعض الناس في أنقرة وللمرة الأولى في التاريخ الحديث في عضوية تركيا في حلف الشمال الأطلسي ("الناتو") ومناقشتهم عما إذا يتوجب على البلاد الاتجاه نحو إقامة علاقة "صداقة" مع روسيا. ومن السهل على أردوغان الذي لديه بالفعل بعض الدوافع للسياسات الخارجية الأوراسية أن يحقق هذا التحوّل وخاصة لأنّ سمعة الجيش التركي الذي هو الصلة الأقوى بين حلف "الناتو" وأنقرة قد تشوهت في أعقاب محاولة الانقلاب.

وإذا رفضت المحاكم الأمريكية طلب أردوغان تسليم غولن من المؤكد أنّه سيلقي اللوم على البيت الأبيض مما سيعزز تحوّل تركيا الأخير نحو روسيا.

لقد اتخذت أنقرة وموسكو خطوات لرأب الصدع في علاقاتهما حتّى قبل الانقلاب الفاشل. فبعد أن بعث أردوغان رسالة إلى موسكو في 27 حزيران/يونيو عبّر فيها عن أسفه [عن إسقاط الطائرة الروسية] اتفق الرئيسان أن يلتقيا في الأسبوع الأول من آب/أغسطس لمناقشة "التطبيع" بين بلديهما. وهنا يجدر بالذكر أن روسيا هي العدو التاريخي لتركيا لذلك فإن عودتها كخصم في أواخر العام الماضي لم تقلق أردوغان فحسب بل مجمل المعنيين بالسياسة الخارجية في أنقرة. وهذا القلق بالإضافة إلى إدراك أنقرة أن أي اتفاق روسي-أمريكي محتمل حول سوريا قد يترك تركيا في العراء قد دفع بأردوغان إلى بعث رسالة اعتذار إلى روسيا في 27 حزيران/يونيو.

الأبعاد السورية والكردية لهذا التقارب

إذا كانت تركيا تريد التدخل ضد تنظيم «الدولة الإسلامية» («داعش») في سوريا ومنع تقدم الأكراد وهزيمة «حزب العمال الكردستاني» في أراضيها فقد تفعل كل ما هو ضروري لإرضاء موسكو وربما حتى قطع دعمها لبعض الجماعات المتمردة المناهضة للأسد.

ويَعْلم أردوغان أنه من أجل هزيمة «حزب العمال الكردستاني» يجب أن يفصل بين روسيا والأكراد مما يساعد على توضيح سعيه لتطبيع العلاقات مع بوتين. إن فك الارتباط بين روسيا والأكراد لن يسمح لأردوغان بهزيمة «حزب العمال الكردستاني» في تركيا فحسب بل سيقوّض أيضاً المكاسب الكردية في سوريا حيث يعمل «حزب الاتحاد الديمقراطي» وميليشيته «وحدات حماية الشعب» مع كل من واشنطن وموسكو لكسب الأراضي. فعلى مدى العامين الماضيين وحّد «حزب الاتحاد الديمقراطي» مقاطعتي كوباني والجزيرة في شمال شرق سوريا في إقليم واحدٍ يعرّف باسم "روج آفا" أو كردستان السورية. وهدف «الجماعة» هو تحقيق حكم ذاتي للأكراد في "روج آفا".

ومن شأن التدخل في معقل تنظيم «الدولة الإسلامية» قرب منبج في شمال سوريا أن يعزز مصالح تركيا في تعطيل خطط «حزب العمال الكردستاني» و «حزب الاتحاد الديمقراطي». وفي حين تعتبر أنقرة أن تنظيم «الدولة الإسلامية» يشكل تهديداً فإنها تستمر في الحفاظ على نفس النظرة تجاه «حزب العمال الكردستاني» أو حتى تعتبره أخطر من تنظيم «داعش». ولطالما قال مسؤولون من «حزب الاتحاد الديمقراطي» أن إغلاق منطقة جيب منبج من شأنه أن يساعدهم في توحيد مقاطعات كوباني والجزيرة وعفرين. بيد أن السيطرة على الجزء الغربي لممر أعزاز- جرابلس الذي يحد منطقة جيب منبج تمكّن تركيا من منع أي خطط كردية كهذه.

لقد أقرّ الكرملين بذوبان الجليد في العلاقات مع أنقرة عندما رفعت شركة الطيران الروسية "ايروفلوت" في 29 حزيران/يونيو حظرها المفروض على الرحلات إلى تركيا وكان ذلك بمثابة إشارة على استعداد موسكو لرفع العقوبات. وفي التاسع من آب/أغسطس عرض بوتين رفع العقوبات الباقية. وبعد اللقاء الذي جرى في ذلك اليوم من المحتمل أن يعرض بوتين على أردوغان حوافز مالية لزيادة السياحة والتجارة وصفقات البناء وخطوط الأنابيب الأمر الذي سيساعد الرئيس التركي على تعزيز قاعدة قوته الاقتصادية في بلاده. وقد قام أردوغان بالفعل برد الجميل ربما تحسباً لخطوة بوتين التالية عندما أعرب خلال اللقاء دعمه لخط أنابيب مشترك بين روسيا وتركيا "تركيش ستريم" الذي كان قد تأجل بناؤه بعد حادث الطائرة. وسيكون إنعاش هذا المشروع الذي سيسمح لروسيا بتصدير الغاز بتجاوزها أوكرانيا عاملاً أساسياً في تجديد العلاقات التركية- الروسية.

الأسباب التي دعت بوتين لتحقيق هذا التقارب

من ناحية الكرملين كان لسياسة روسيا نحو تركيا منذ انتهاء الحرب الباردة مبدءً توجيهياً واحداً وهو عدم إبعاد تركيا كلياً. وسعت الاستراتيجية الروسية وخاصة مع وصول بوتين إلى السلطة إلى إبقاء تركيا قريبة من موسكو وبعيدة عن حلف شمال الاطلسي. ويعلم بوتين أن إبعاد تركيا بصورة أكثر في هذه المرحلة سيدفعها بصورة أكبر نحو الاقتراب من "الناتو".

ويعرف بوتين أيضاً أنّ العقوبات المستمرة ضد أنقرة تعاقب في الواقع روسيا أكثر من تركيا. فالكثير من العملاء يرغبون بالسلع التركية الرخيصة ولكن ذات الجودة العالية. والروس كونهم يعانون من العقوبات الأوروبية والأمريكية ومن انهيار أسعار النفط يحتاجون في النهاية إلى الحصول على الصفقات المتاحة في الأسواق التركية.

الاحتمالات لواشنطن

بالنسبة إلى الولايات المتحدة لن يكون واضحاً لبعض الوقت إلى أي حد ستتغير العلاقات التركية- الروسية نتيجة التطورات الأخيرة التي من بينها اللقاء الذي جرى في التاسع من آب/أغسطس. على سبيل المثال قد تقرر روسيا أنها تحتاج إلى مساعدة «وحدات حماية الشعب» لإبقاء غرب حلب في يد النظام السوري لذلك قد تتحرك ببطء أكثر مما تتوقعه تركيا في التخلي عن «وحدات حماية الشعب»/«حزب الاتحاد الديمقراطي». وبالمثل قد يواجه أردوغان ضغطاً داخلياً للتخلي عن المتمردين المناهضين للنظام السوري الذين يقاتلون للحفاظ على شرق حلب. ومهما كانت النتيجة على المدى الطويل سيعمل بوتين خلال الأيام المقبلة على إغراء تركيا بمبادرات مثل رفع العقوبات. بالإضافة إلى ذلك يستطيع بوتين مساعدة تركيا بنفوذه السياسي في جمهوريات آسيا الوسطى حيث تتواجد شبكات غولن الأقدم والأقوى خارج تركيا من خلال تضييق الخناق على المؤسسات التابعة لغولن وهي رغبة أردوغان الأساسية من جميع نظرائه. ومثل هذه المبادرات فضلاً عن إمكانية فشل واشنطن في إقناع أنقرة أن طلبها في تسليم غولن يقتضي مراجعة دقيقة يمكن أن تدفع أردوغان بشكلٍ أكبر نحو روسيا.

سونر چاغاپتاي هو زميل "باير فاميلي" ومدير برنامج الأبحاث التركية في معهد واشنطن. تتبعه على موقع "تويتر" @SonerCagaptay. ❖

موصى به

BRIEF ANALYSIS

Unpacking the UAE F-35 Negotiations

/ /

◆

Grant Rumley

(/policy-analysis/unpacking-uae-f-35-negotiations)

ARTICLES & TESTIMONY

How to Make Russia Pay in Ukraine: Study Syria

/ /

◆

Anna Borshchevskaya

(/policy-analysis/how-make-russia-pay-ukraine-study-syria)

تحليل موجز

مواجهة أزمة الغذاء في سوريا

فبراير

◆

عشتار الشامي

(ar/policy-analysis/mwajht-azmt-alghdha-fy-swrya/)

TOPICS

السياسة العربية والإسلامية **(ar/policy-analysis/alsyast-alrbyt-walaslamyt/)**

المناطق والبلدان

سوريا **(ar/policy-analysis/swrya/)** تركيا **(ar/policy-analysis/trkya/)**